روض الفرج

أقصوصة مصرية

بقلم الأديب نجيب محفوظ

اعتدل الأسطى شلبي فى جلسته وجعل يفتل شاربيه الغزيرين ويرفع حاجبيه الكثيفين ويقول للشاب الجالس إلى يمينه على الكنبة :

— وما الداعى إلى التعجيل بالسفر ؟

فقال له صاحبه وهو شاب فى الثامنة عشرة من عمره تدل قوة بنيته الطبيعية وسذاجة نظرته على ريفيته الفجة :

— وما الداعى إلى البقاء وقد انتهيت من أداء امتحانى ؟

فقال الأسطى شلبي بتفلسف :

— وهل الغاية من الدنيا تنتهى بانتهاء امتحان النقل من السنة الأولى إلى السنة الثانية الثانوية ؟ ينبغى أن تروح عن نفسك قليلا فما العريش التى أنت ذاهب إليها إلا قطعة من البادية القاسية لا أثر فيها للهو والمرح ... فقال الشاب :

— أخشى أن يقلق والدى لتأخرى

— وماذا يضيره لو تأخرت يوماً آخر وقد غبت عنه عاماً مدرسيًّا كاملاً ؟ تعال نذهب معاً هذا المساء إلى روض الفرج والمشاق لمشاهدة تمثيل رواية « اشمعنى » وهى كوميديا غاية فى الإضحاك والبهجة ... ما رأيك ؟

وضحك الأسطى شلبي وهو ينظر إلى عبد المعز باغراء فابتسم الشاب وقال بتسليم :

— فليكن ... سأؤجل السفر إلى غد

فابتسم الأسطى مسروراً وقال له بخيلاء :

— نعم ارأي ، وستري بعد قليل عشيقتى تقوم بتمثيل الدور الأول فى رواية « اشمعنى ». وارتدى عبد المعز ثيابه وكانت تبدو عليه هيئة الطلبة الريفيين الذين يندر أن تنسجم (البدلة) مع قامتهم ويبدو الطربوش غريباً على رؤوسهم . أما الأسطى فقد وقف أمام المرآة فى دل وتيه وارتدى قفطانه الزاهى وجبته البنى الأنيقة ، وأمال الطربوش حتى مس حاجبه الأيمن وأمسك بعصاه الذهبية اليد ، وتقدم قريبه يختال فى مشيته كالطاووس

والأسطى شلبي هذا بدأ حياته كصبي حلاق بسيط ثم استقل بصالون جميل أتاممنه رزقه رغداً، ثم اشتغل بالسمسرة وصادفه فيها توفيق كبير فتمت أرباحه واستطاع أن ينفق عن سعة على عشيقاته المديدات من نجوم روض الفرج

أما عبد المعز فهو ابن أحد أقرباء الأسطى شلبي المدعو الشيخ طه شيخ كتاب وواعظ بالعريش ؛ وقد جاء فتح مدرسة العريش الابتدائية متأخراً مما دعا ولاة الأمور إلى التجاوز عن شروط سن القبول فالتحق بها عبدالمعز وهو ابن ثلاثة عشر عاماً، وبعد انتهائه من تعليمه الابتدائى أرسله أبوه إلى قريبه شلبي ليتم تعليمه الثانوى ، مؤثراً بعد القاهرة مع الاطمئنان عليه فى بيت قريبه على قرب الزقازيق مع إقامته وحده

على أن الأسطى شلبى لم يكن عند حسن ظن الشيخ طه فكان يدعو أحياناً عبد المعز إلى المقهى واقترح عليه مرة أن يعلمه النرد ليستعينا به على تزجية أوقات الفراغ . وكان الشاب حكيما مجتهداً فلم يستسلم لاغراء قريبه ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يسلمه فيها زمامه فذهب معه إلى روض الفرج ودخلا كازينو البسفور لمشاهدة رواية « اشمعنى » وبدا الشاب بطيئاً فى فهم النكت و(القفشات) وأخذ يقلب عينيه بين الضاحكين فى استغراب وحيرة ، ولكن جذب عينيه إلى المسرح ظهور ممثلة قابلها الجمهور بعاصفة من التصفيق والتهليل ، وكانت امرأة فارعة طولا وعرضاً مزججة الحاجبين مكحلة العينين محمرة الخدين والشفتين ، تنوء بحمل ردفين ثقيلين لا ريب يرهقانها ثقلا ، بل ما أحراهما أن يميدا بها لولا أن وازنتهما العناية بثديين كبطيختين وإن كانا — بقدرة قادر — ناهضين ، وكانت تنثنى وتتمايل وتتخنث فى كلامها وتتكسر وكأنها تتأوه وتتوجع والنظارة لا يكفون عن إبداء الاعجاب ويرفونها من أعين الحساد ، وفتل الأسطى شلبى شاربيه بقوة وزهو ومال على أذن صاحبه وهمس قائلا :

— هذه عشيقتى الآنسة نور الحياة .. أنظر !

وكان عبد المعز ينظر بعينين جشعتين فزاد ذلك من مسرة الرجل فعاد يقول :

— إن بعض الظرفاء ممن يعرفون أنى المالك لقلب هذه المرأة يقولون لى : « حقاً إنك لمن كبار ذوى الأملاك »

وقهقه الرجل ضاحكا تياهاً فخوراً

وفى أثناء فترة الاستراحة رأى عبد المعز الممثلة الحسناء آتية صوب الركن المنعزل الذى يجلسان فيه ، تتبختر كأنها ترقص ، وتوزع النظرات الناعسة بلا عدل ولا رحمة ؛ ثم رآها تسلم على الأسطى شلبى وتقول له ضاحكة :

— كيف حالك يا رجل ؟

وسمع قريبه يجيبها قائلا :

— وما جدوى سؤالك عن حالى ما دمت تلتهمين مالى وصحتى بلا رأفة ؟

فضحكت ضحكة مثيرة وجلست تشارب الرجل كأساً من الويسكى ، وكبر على عبد المعز أنها لم تباله ؛ ورأت المرأة ارتباكه ، فمدت يدها المكتنزة وقرصته فى خده وهى تقول :

— وكيف حالك يا تونو ؟

فاحمر وجه عبد المعز استحياء ، وأحس باستياء وشغل بشعوره عما حوله فلم ينتبه إلى ما دار بين المرأة وقريبه ، وجعل يختلس النظرات إلى وجهها الممتلئ فأحس نحوها بانجذاب عجيب ، والظاهر أن المرأة لم تهمله لأنها عادت تداعبه فسألته :

— كم عشقت من النساء يا غلام ؟

وكان عبد المعز يشعر بميل إلى التحدث إليها فأغضى عن سخريتها وسألها بدوره :

— وهل يهمك أن تعرفى ذلك ؟

— كيف لا ؟

— وله ؟

— لأسباب كثيرة أقلها أن أعرف عمرك

— وما علاقة العمر بالعشق ؟

فغمزت بعينها وقالت :

— نحن معشر أهل الهوى نقدر الأعمار بحساب الحب ، مثلنا مثل العرافة التى تهتدى إلى معرفة الأعمار بالرمل والنجوم ...

فضحك الأسطى شلبي وقال :

— إذا فعبد المعز لم يولد بعد على تقديرك

فضربت المرأة صدرها بيدها وقالت بانكسار :

— رباه... ولم تحرم نفسك من الحب يابني ؟...

ألا ترى الأسطى شلبي لا يفيق من الهوى وإن رد إلى أرذل العمر ؟

فتغاضب شلبي وقال محتجا :

— أيقال عني أنا مثل هذا الكلام (وفتل شاربيه واستمر قائلا) أهذا شارب رجل رد إلى أرذل العمر؟

فعبثت أناملها المخضبة بالحناء بشاربه وقالت :

— أقسم أنك سرقت هذا الشارب من زبون شارد الفكر !

ولم يكن لدى الممثلة متسع من الوقت لتسترسل في مداعباتها ، فشربت كأسها وحيت الأسطى وقرصت عبد المعز مرة أخرى وسارت ترقص على نغم موسيقاها الباطنة

واختتم التمثيل عند منتصف الليل ، وانتظر الأسطى شلبي السيدة نور الحياة حتى انتهت من تغيير ملابسها وعادت إليه وركب ثلاثتهم تاكسي انطلق بهم صوب المدينة . وفي أثناء الطريق كان عبد المعز يختلس من الوجه الممتلىء الجميل نظرات جائعة ، وكانت المرأة تراقبه بعينين نصف مفتوحتين لا تخفى عليها خافيته ، وقد وجدت لذة غريبة في مشاهدة قلقه وتحيره ، وأرادت أن تقضي عنه استهانة فلم يطاوعها وجدانها ، وأخيرا أحست نحوه بعطف غريب لم تحاول إخفاءه . وبلغ التاكسي ميدان المحطة فأمر الأسطى السائق بالتوقف ربما يودعهما عبد المعز الذي قدر له أن يعود إلى البيت وحده تلك الليلة ، وأرادت نور الحياة أن تحسن توديعه فقالت : «ياعيني .. أتعود إلى البيت وحدك ... خذ هذه القبلة لتؤنس وحشتك »

ومالت نحوه بسرعة وقبلت فمه قبلة فاضحة ذات رنين عجيب

ووقف الشاب ينظر إلى التاكسي الذي ابتعد بهما في جوف الليل إلى حيث لا يعلم ، وكان ذاهلا محموماً يتصاعد الدم إلى رأسه كما يتصاعد الزئبق في الترمومتر ، ويحس بالقبلة على شفتيه ويدوي رنينها في أذنيه ويشم رائحة الفم المعطر بالقرنفل ، واهتاجت أعصابه تلك الليلة الفريدة في حياته فجعلت تخلق له الأحلام وتدنى إليه الأماني ، وأنامت بين ذراعيه نور الحياة بشحمها ولحمها لتروي اشتهاءه بفنون الحب جميعا

ولدى ضحى اليوم الثاني رجع الأسطى شلبي إلى بيته وقد أدهشه أن يرى عبد المعز ما يزال قابعاً به لم يسافر ولا تبدو عليه هيئة المسافرين فقال له :

— ظننت أنك سافرت إلى العريش

فسأله الشاب بقلق :

— أيضايقك أن أبقى مدة أخرى ؟

— كلا وألف مرة كلا .. على الرحب والسعة دائما ... ولكن قل لي بالله ما الذي حملك على تغيير رأيك ؟

فقال الشاب مبتسماً مرتبكا وهو ينظر بعينيه إلى الأرض :

— روض الفرج دون غيره ! ليتني أستطيع أن أشبع من ملاهيه !

وقال الأسطى شلبي لنفسه : ترى هو روض الفرج حقاً أم نور الحياة ، على أنه لم يبال هيامه واعتقد أنه عبث طفولة لا يقابل بغير الهزء والسخرية فاصطحبه معه إلى روض الفرج . وكان تعلق الغلام

بنور الحياة بيّناً لا يحتاج إلى دليل؛ أما الذي لم يدر بخلد إنسان أبداً ولا كان محل احتمال قط فهو أن تتعلق المرأة بالغلام، ولو أنه من المسلم به دائماً أن عالم الحب عالم حافل بالمفاجآت غني بالغرائب والعجائب

وكانت الظواهر تجمع على حب تلك المرأة الهائلة لذلك الغلام الغرير فكانت تأنس به وتخف إلى محضره وتعاطيه نظرات حنان وعطف ومودة، وكان لسان حالها ينطق بالرغبة الحارة في الانفراد به، وكانا يطلبان غفلة من الأسطى شلبي ليتناجيا بغمزة عين أو ينفسا عن صدريهما بلمسة يد، وفي أثناء ذلك لا تكف ركبته عن تحسس فخذها المكتنز . .

وحاول الأسطى شلبي أن يهزأ به في حضرتها أكثر من مرة فكانت تغضب وتنتهره حتى ضاق صدره وجعل يفتل شاربيه بعنف ويقول لنفسه بغيظ « أيغلب هذا الشارب الذي يقف عليه الصقر؟ هيهات ثم هيهات ... »

وفي أثناء ذلك استبطأ الشيخ حضور ابنه فأرسل إليه خطاباً يحثه فيه على العودة بلا إبطاء؛ وانتهز الأسطى الفرصة الذهبية فنصح الشاب باطاعة والده ولكنه أجاب — أو قلبه أجاب — « لا أستطيع » . وانفجر حقد الأسطى شلبي في كتاب حرره للشيخ طه كاشفه فيه بتدهور ابنه إلى الحضيض والفساد وصارحه بهيامه بإحدى بغايا روض الفرج، وأهاب به أن يدركه أو يتردى في الهاوية إلى الأبد

وجن جنون الشيخ الواعظ فشد رحاله إلى القاهرة فبلغها عصراً، واستقبله الأسطى شلبي استقبالا دل على الاخلاص والمحبة، ولم يتردد فمضى به إلى روض الفرج وكان يوسوس في صدره بما يزيد مخاوفه ويهيج بلابله، وانتهيا إلى كازينو البوسفور وكان الستار مرفوعاً فسار به إلى مكان يطلعان منه على الركن الأيمن الذي يجلس به عبد المعز يشاهد التمثيل في الظاهر وينتظر نور الحياة في الحقيقة، ومال الأسطى على أذن الشيخ وقال هامساً :

— ستوافيه إلى هذه المائدة بعد قليل

فضرب الرجل حجره بيده في حالة عصبية وقال بتأثر :

— ألا يكفيه أن يغشى هذه البؤرة الفاسدة ؟

فقال الأوسطى شلبي بلهجة دلت على الحزن والأسف :

— إن ما ينتظر له الغاب حقاً أن عبد المعز كان شاباً عفاً طاهر الخلق

— فتنهد الرجل بحسرة وقال كالدهش

— ولكن من أين له المال الذي ينفقه على ممثلة؟

— أظن أن العلاقة بينهما لم تجاوز خطى التعارف الأولى ولهذا أهبت بك أن تدركه ولما يهوى

— فقال الشيخ بلوم وحزن :

— لقد سكت عنه ياشيخ شلبي أكثر مما ينبغي . كان يجب أن تحذرني من بادىء الأمر ...

— فقال الأسطى بيقين :

— أقسم بالله إني ما علمت بسقطته حتى بادرت إلي الكتابة إليك ...

— وعند ذاك نزل الستار فوجه الرجلان انتباههما إلى الشاب المولهما ظهره، وما لبثا أن رأيا نور الحياة تسير إليه في مشية الأوزة المصرية وتجلس قبالته، ونظر الأسطى شلبي إلى الشيخ طه فرآه ينظر إلى المرأة نظرة فاحصة وسمعه يصرخ صرخة مكتومة ويهتف بصوت مبحوح مرتجف

— يارحمة الله ! ورآه يقف مرتعش الأوصال زائغ البصر، فأشفق من عاقبة التهور وقال له بتوسل:

— هدىء روعك ياشيخ طه

ولكن الشيخ طه لم يستطع أن يهدىء روعه وسار كالمترنح حتى وقف خلف ابنه الذى لايحس به وألقى على المثلة نظرات وحش مفترس وألفت عليه نور الحياة نظرة احتقار عاجلة من النظرات التى تدخرها للمتطفلين، ولكنها علقت بوجهه ولم تبرح، وعبثا حاولت أن تحول عينيها عنه كالمستهوى. وعجب الأسطى شلبى لما رآها تتلبسها حالة دهشة وفزع كتلك التى تلبست الشيخ طه حين وقوع نظره عليها فحار لأمرها وقال لنفسه بقلق « ليست هذه مسألة عبد المعز »

وفى تلك الأثناء التفت عبد المعز إلى الوراء فوقعت عيناه على أبيه فجمد مكانه كالصنم ولكن أباه لم يباله كما توقع واكتفى أن أمسك يده بقسوة ووضعها فى يد شلبى وقال بشدة لا تحتمل مراجعة: اسبقانى إلى البيت .

— فمضى الأسطى شلبى مع الشاب المرتعب وهو يتمتم : «خلصنا من الابن طلع لنا الأب»

— ولما خلا الجو للشيخ والمثلة قال الرجل باحتقار:

— السلام عليك أيتها الفاجرة التى ما كنت أظن أن الله سيبتلينى برؤيتها مرة أخرى

— ولم ترد عليه المرأة الماثلة بل استكانت وبدا عليها الذهول والقلق وتعلق عقلها بالشاب الذى ذهب فعاد الرجل يقول بنفس اللهجة :

— حقا هذه هى البؤرة التى أعدت لأمثالك. لقد كنت يوما ريفية بسيطة ولكن نفسك كانت ملوثة تبرأ منها النفوس الريفيات جميعا . كنت فاجرة بالطبيعة والفطرة فكان من المحتوم أن ينتهى بك المطاف إلى روض الفرج أو إلى هاوية أشد وعورة . أيتها الفاجرة

وكانت نور الحياة تفكر فى أمور أخرى ألهتها عن الاصغاء إليه فسألته بخوف وإشفاق وهى تشير إلى الناحية التى ذهب إليها الأسطى شلبى وعبد المعز:

— هل هو ...؟

— ولم تقو على إتمام سؤالها فقال الرجل بوحشية :

— نعم ... نعم ... هو ابنى ... بل هو الطفل الذى تركته فى القماط وفررت مع ذلك القصاب المنحوس غير آبهة بالأمومة ولا بالزوجية ... هو ابنك أيتها الفاجرة فقولى ماذا صنعت به ؟ ...

وابيض وجه المرأة وعلاه الكركم وزاغ بصرها فقال الرجل بقسوة :

— هل وقعت الجريمة النكراء ؟ هل حدث الاثم الأكبر ؟ هل سقطت يا فاجرة إلى مرتبة الحشرات والكلاب ؟ والله ما كنت أحب أن يشارك ابنى فى مثل هذه الفعلة الشنعاء ولكنه الانتقام الالهى الصارم أعمى بصرك وطبع على بصيرتك ليذيقك علقم الندامة ويضرب عليك الذلة والهوان إلى أبد الآبدين

وكانت المرأة فى حالة ذهول شديد حجب عن حواسها إدراك العالم المحيط بها ومنه الشيخ طه فغلبت هواجس ضميرها صوت الرجل المرعى المزيد وجعلت تحدث نفسها

— إبنى ... رباه ... أهذا إذاً سر حبي له وعطفى عليه ؟... إبنى ... لكأنه حلم بعيد التحقيق

فقال الرجل الغاضب :

— فلتموتى كمداً جزاء إثمك الشنيع

فأشارت المرأة إليه بيدها إشارة غضب واحتقار وقالت :

— كفى هذيانا ... فانه لم يقع بينى وبين ابنى

ما يخجل منه أحدنا أو كلانا

فاشتد غضب الرجل لهجتها وصاح بصوت انفجاري :

— إياك وأن تقولي ابنك ... لقد ماتت أمه حين ولادته ... أفاهمة أنت ؟

ودوى صوته فالتفت النظارة إلى ناحيتهما من كل صوب، وكادت تفقد الممثلة صوابها، ولم تر بدآ من الانسحاب السريع ، وغادر الشيخ مكانه ورجع إلى بيت قريبه الأوسطى شلبي ولم يطمئن به المكان فأخذ ابنه ومضيا إلى محطة مصر وفي أثناء الطريق قال له:

— لن ترى القاهرة مرة أخرى إن شاء الله .. وسأحولك إلى مدرسة الزقازيق والله المستعان

وصمت عبد المعز فلم تنفرج شفتاه عن كلمة وظل جامداً كالتمثال حتى آوى إلى حجرته وكان في قرارة نفسه غاضباً على أبيه ولعله لو رأي الشيخ وهو يختم صلاته ذاك المساء فيبسط يديه ويدعو ويتوسل ويذرف الدموع الساخنة لربما سكت عنه الغضب وأجبرته حناياه على الذهاب إليه ليستغفره ويسترحمه ولكنه كان لا يرى من الدنيا جميعاً سوى وجه ممتلىء مستدير حلو الابتسامة جم المحبة والحنان يراه في النور وفي الظلام ويراه حين ينظر وحين يغمض جفنيه فهو لا يبرح مخيلته ولا يدع له فرصة للراحة أو الاطمئنان ، ولم يفكر قط في النسيان أو التعزي ولكنه كان يبتغي الوسيلة إلى الفرار إلى القاهرة مهما كلفه الأمر

ولاحت له الفرصة المطلوبة بعد أسبوع من وصوله إلى العريش حين اضطر أبوه إلى سفر يقتضيه التغيب بضعة أيام ، ولم يدع الفرصة تفلت لأنه كان عازماً عزماً أكيداً أمات ضميره وهزم نوازع الخير في نفسه ففتح صوان والده وبعثر ما فيه من الثياب فعثر — كما قدر — على خمسة جنيهات دسها في جيبه وفر من البيت ...

وبلغ القاهرة ظهراً، وكان مضطرباً متعباً فاستراح في مقهى حتى العصر ، ثم ركب إلى روض الفرج فالى كازينو البوسفور وقصد إلى الركن المعهود ، ولكنه لمح عن بعد الأسطى شلبي جالساً إلى المائدة في اطمئنان ودعة ينتظر الحبيبة لا شك بعد أن خلا له الجو ، فغلى الدم في عروقه وود لو يخسف به الأرض، وحار لحظة قصيرة ثم لم يتردد، فقصد رأساً إلى حجرات الممثلات وبحث عن حجرة نور الحياة ولم يصبر حتى يؤذن له فاقتحم بابها

وكانت مفاجأة غير متوقعة ، فقامت نور الحياة واقفة تاركة أدوات المكياج والتواليت تسقط من يديها، وتبدى على أسارير وجهها فرح قهري وكادت تفتح له ذراعيها وتضمه إلى صدرها الخفاق وتعاطيه قبل الحنان والأمومة ، ولكنها تنبهت إلى نفسها فتصابت في وقفتها وجمدت أسارير وجهها وبدت عليها الحيرة والذهول ، ولم يكن لديها متسع للتفكير والتقدير ، ولكنها أحست بأن الطريق الذي تدفعها عواطفها إليه ليس الطريق الذي ينبغي لها سلوكه

ولم ترد عيناه أن ترى في وجهها سوى الفرح الذي كساه لأول وهلة ، فأقبل عليها مفتوح الذراعين ولكنها أغضت عنه وسألته بلهجة غريبة :

— عبد المعز ... ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

فقال بلهجة المستغيث وهو يشفق من تغيرها إشفاقاً :

— أنت تعلمين بما أني بي فكيف تتجاهلينه ؟

ونفذت لهجته التوسلية إلى سويداء قلبها فخفق بشدة وكاد يطير من بين يديها ، ولكنها ضغطت عليه بقسوة لم تعهدها في نفسها من قبل وسكتت هنيهة

لتضبط عواطفها كيلا يظهر اضطراب وجدانها فى نبرات صوتها ثم قالت :

— لا أفقه لما تقول معنى

— فتنهد الشاب بحرقة وترك ذراعيه يسقطان إلى جانبه وقال :

— أتيت لأنى لا أحتمل البعد عنك وليس بى من قوة أستطيع بها التصبر أوالتعزى ، فعبثاً حاولت أن أقيم لرجاء والدي وزناً ، وعبثاً حاولت أن أصرف نفسى عن التفكير فيك ، وانتهزت فرصة سفر والدى لألوذ بالفرار ، ولم أحسن التدبير إذ كانت ظروفى غاية فى القسوة فأخذت نقود أبي ...

وأسكتته عن إتمام حديثه صرخة فرت من فم المرأة الخائفة المشفقة ، وسمعها تسأله بألم :

— هل سرقت ؟

— فلم يحسن فهم الباعث لها على سؤالها وقال بتأثر شديد :

— نعم سرقت ولست آسفا على ما فعلت لأنه كان سبيلى الوحيد إليك ولن أتردد عن أى تضحية فى سبيل أن أحظى بقربك؛ وهاهى ذى نقودى فافعلى بها ما تشائين ...

— ولكنها أشارت إليه بيدها فأسكتته وسألته بجفاء يعلم الله كم كلفها من جهد وعذاب :

— هل يعود أبوك سريعاً من سفره ؟

— بعد يومين أو ثلاثة

— فتنهدت المرأة ارتياحا وقالت :

— ينبغى أن ترجع فى الحال إلى بلدك لترد النقود إلى مكانها فلا يعلم أبوك بجريمتك .

ولكنه قال بجزع وخوف :

— هذا مستحيل. أنا لا أستطيع مفارقتك أبداً

— هذا كلام فارغ وعبث طائش والحب سريع الزوال ، أما أثر الجريمة فلا يزول

فقال بإصرار :

— لن أفارقك أبداً

وخشيت إن هى لانت له وطاوعت قلبها أن تقضى عليه فقالت بصرامة :

— ينبغى يا هذا أن تذهب سريعاً وإلا وجهت إلى تهمة تحريضك على السرقة

فبهت الشاب وأحس بخيبة مريرة وسألها :

— أهذا كل ما يهمك من أمر عودتى ؟

— طبعاً ...

— أتجدّين فى القول ؟

— وهل هذا وقت هزل ؟

— وفيم كانت مودتك لى ؟

— وأى مودة هذه التى تهون على النفس ما تهددينى به جريمتك ؟

فقال الشاب بانفعال شديد :

— ولكنى ارتكبت هذه الجريمة من أجلك أنت !

— لقد جئت أمراً نكراً، وإن عشاق الكثيرين ليتوددون إلى بغير ارتكاب الجرائم

فتنهد عبد المعز تنهد اليائس المغيظ وقال :

— وإذا كنت تكذبين ؟

فقالت وكانت فى حالة من الاعياء شديدة

— أنت الذى أخطأت فهمي ... نعم إنى لا أنكر أنى ذكرت فى حديثى معك الحب ولكنه كان حباً بريئاً كحب ... أمك مثلا

وكان دم عبد المعز يغلى فى عروقه غلياناً وكان الغضب يفور فى قلبه وينفث أمام عينيه سحائب من دخان كثيف فصاح بصوت مرتعش النبرات :

— لا تشبهى نفسك الآثمة بأمى الطاهرة فتقلق رقدتها الآمنة أيتها العاهرة ...

ولم يشف الكلام غليله فلطمها على وجهها — فى غيبوبة الغضب — وبصق عليها ...

ثم ولى الأدبار فلم يقدر له أن يرى بشاعة الألم الذى قاص أسارير هاولا الحزن الذى طفر بالشيخوخة على وجهها ولا رآها وهى تمسح بصفته بيدها ودمعها ينهمل ...

ومضى فى طريقه لا يلوى على شئ هائجا، ثائرا كالزوبعة ، وركب الترام ونزل منه واستقل القطار وهو يحدث نفسه ويتهدد ويتوعد ويتجرع غصص الندم والأسف

وأراد الله ستره فأعاد النقود إلى مكانها ومحا أثر الجريمة بيديه ونجا من شر عظيم

وقد ظن أن الدرس القاسى الذى تعلمه كفيل بأن يجتث من نفسه كل ما كان من ميل أو عاطفة نحو نور الحياة وأمثالها جميعا ، ولكنه حين عاودته طمأنينته وسكونه وجد عقله ينزع به إلى روض الفرج ، وقد غالط نفسه وقاوم نزوعه ولكنه وجد عقله مجبرا على التفكير والتذكر، فساءل نفسه ماذا فعلت نور الحياة مما استحق غضبى ؟ ألأنها ترددت إلى؟ فهذه صناعتها وفنها ، أم لأنها أشفقت على نفسها من عواقب جريمتى ؟ فهذا ما ينتظر من أى إنسان مهما كان أدبه وكان تهذيبه ، وربما كان من الطبيعى أن أغضب بعد أن مثلت بالخيبة وذهبت تضحيتى هباء، ولكن لم يكن طبيعياً قط أن أصب عليها جام غضبى، وماذا فعلت هى تلقاء ذلك؟ لاشئ ، لقد لطمتها وبصقت عليها فماذا فعلت وهى القادرة على «البهدلة»؟ لاشئ !

ومضت الأيام تلو الأيام وانتظر على رجاء أن يمحو الزمن من نفسه تلك الذكرى المؤلمة. وكان يجد فى أعماقه عاطفة غريبة لم يعترف بها قط وطالما غالط نفسه فيها ولكن ربما غلبته على أمره أحيانا فيتنهد حزنا ويقول لنفسه آسفا محسوراً « ليتنى لم أمدد لها يدى بسوء »

نجيب محفوظ

شركة مصر للملاحة البحرية

تمهد لكم السبيل إلى بيت الله الحرام

بباخرتيها الفاخرتين

زمزم و روض الفرج

وفنادقها فى

السويس — جدة — مكة المكرمة

وبنك مصر يقدم لكم جميع الخدمات ويستبدل العملة ويحاسب المطوفين ويدفع الرسوم والمصاريف

استعلموا من

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها بنك مصر وفروعه شركة مصر للسياحة وفروعها